

obeikandi.com

المقصد

وفيه مسائل :

الأولى : فيما جاء من الأحاديث في اتخاذه .

الثانية : في حكم حبسه في الأقفاص .

الثالثة : في حكم اللعب به بالتطير والمسابقة .

الرابعة : في حمامتي الغار ومعاني تسبيح بعض الطيور .

obeikandi.com

المقصد وفيه مسائل

الأولى : ... في الحديث الذى جاء السؤال عنه ، وطرقه ، وشواهده .

قال الطبرانى فى الكبير :

حدثنا الحسين بن إسحق القيسرى ، حدثنا الربيع الزهرانى ، حدثنا الصلت بن الحجاج ، أنبأنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت^(٣٤) قال :

شكا رجلٌ إلى رسول الله ﷺ الوحشة ، فقال له رسول الله ﷺ : « اتَّخِذْ زَوْجاً مِنْ حَمَامٍ » .

[رجاله رجال الصحيح سوى الصلت — قال فيه ابن عدى : فى حديثه بعض النكرة] .

وقال ابن السنى : « فى عمل اليوم والليلة » حدثنا على بن إسحق بن رجا أنبأنا محمد بن يزيد المستحلى حدثنا الحسين بن علوان عن ثور ابن يزيد . عن خالد بن معدان ، عن مُعَاذِ بْنِ جَبَل : « أَنَّ عَلِيّاً شَكََا

(٣٤) أحد الصحابة الانصار واحد النقباء الاثنى عشر الممثلين للأنصار وقد حمل لواء الفتح الإسلامى مع عمرو بن العاص عند فتح مصر .. وقام بالتفاوض مع المقوقس وعقد الصلح ، وعقد له عمرو بن العاص اللواء لقيادة الجيش الذى فتح الإسكندرية عنوة وتم فتحها على يديه بنصر من الله .

إلى النبي ﷺ الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام ويذكر الله عند هديره» (٣٥) .

[سنده ضعيف] ، وقال ابن وكيع في الفرد : حدثنا الحسين بن أنى زيد الدباغ ، حدثنا يحيى بن ميمون بن عطا أبو أيوب حدثنا أبو ميمون بن عطا عن أبي إسحق عن الحارث ، عن علي بن أبي طالب : أنه شكّا إلى رسول الله ﷺ الوحشة ، فقال : «ألا اتخذت زوجاً من حمام فأنسك وأكلت» ؟!

[أخرجه بن عدى في الكامل ، ويحيى بن ميمون ، والحارث وضعّفاه] .

وقال الخطيب^(٣٦) في تاريخه : أخبرني الحسين بن علي الطنّاجيري أنبأنا عمر بن أحمد الواعظ ، حدثنا أحمد بن هاشم بن محمد العبدى ، حدثنا محمد بن زياد اليشكرى ، عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : «شكا رجل إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال : «اتخذ زوج حمام يؤنسك بالليل» [محمد بن زياد ضعيف] .

(٣٥) هدر الحمام قرقر وكرر صوته في حنجرتة . وهدلّ هديلا صوّت . [المنجد] .

(٣٦) الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد . وهو الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بـ «الخطيب البغدادي» صاحب المؤلفات الكثيرة أشهرها «تاريخ بغداد» روى عنه جماعة من الحفاظ منهم شيخه أبو بكر أحمد بن محمد البرقاني شيخ بغداد . قال ابن ماكولا :

«كان أبو بكر الخطيب آخر الأعيان مما شاهدناه معرفة وحفظاً وإتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ وتفنتنا في علله وأسانيده وعلمنا بصحيحه وغيبيه ، وفردّه ، ومنكره ومطروحه .

ومن شواهد ذلك : ما أخرجه ابن عدى بسند فيه مضعفا عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان أحدكم في بيته وحده خاليا فليأخذ فيه زوج حمام » .

وما أخرجه ابن عدى والشيرازي في « الألقاب » والخطيب بسند ضعيف عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « اتخذوا الحمام المقاصيص في بيوتكم ؛ فإنها تلهي الجن عن صيانكم » .

وما أخرجه الطبراني ، وابن قانع ، وابن السني ، وأبو نعيم ، كلاهما في « الطب النبوي » بسند ضعيف عن حبيب بن عبد الله بن أبي كبشة عن أبيه عن جده « أن النبي ﷺ كان يعجبه النظر إلى الأترج ، ويعجبه النظر إلى الحمام الأحمر » .

وأخرج الحاكم في التاريخ ، وأبو نعيم في الطب بسند ضعيف ، عن عائشة قالت : « كان النبي ﷺ يحب النظر إلى الخضرة وإلى الأترج وإلى الحمام الأحمر » .

وأخرج ابن حبان في الضعفاء وابن اسحق وأبو نعيم معا في الطب عن علي بن أبي طالب قال : « كان رسول الله ﷺ يعجبه النظر إلى الحمام الأحمر والأترج » .

ثم قال : ولم يكن للبغداديين بعد الدارقطني مثله «
صنف في الفقه وبرع فيه ، ثم غلب عليه الحديث . اهـ [اقتضاء العلم العمل للخطيب
البغدادى — تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى — المكتب الإسلامى] .
(٣٧) قال في المنجد : « الأترج ، والأترنج ثم تسميه العامة : « الكباد » وهو من
جنس الليمون ، ويقال له أيضا الأترنج »

وشجره من الفصيلة البرتقالية ناعم الأغصان والورق والثمر كالليمون الكبار ، ذهبي اللون ، ذكي الرائحة ، حامض الماء ، ويسمى عند العرب « تفاح العجم » و« ليمون اليهود » ؛ لأنهم يحملونه في الأعياد . [التداوى بالأعشاب . عبد اللطيف عاشور] .

قال هلال بن المعلّى : الحمام الأحمر : التفاح .
قال الحافظ أبو موسى المديني : هذا التفسير لم أره لغيره !

وقال الديلمي في مسند الفردوس : أنبأنا يحيى بن عبد الوهاب الحافظ ، أنبأنا أبو عمرو ورجا بن علي بن عبد الصمد حدثنا عمر بن أحمد بن عمر الشافعي حدثنا أحمد بن الحسن بن أيوب النقاش ، حدثنا إبراهيم بن مهدي ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سعيد بن محمد ابن سعيد بن زياد ، حدثنا عبد الله بن الزبير وعبد الله بن معاوية قالا : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن لله من كل شيء صفوة ، وإن صفوته من الطير الحمام فلا تحسبوها » .



المسألة الثانية في حبسه في الأقفاص

قال الدُّمَيْرِيُّ : (٣٨) يجوز اتخاذ الحمام للبيض والفراخ والأنس بها وتحمل الكتب بلا كراهة .

قال : ويجوز حبس الطير في القفص . نصَّ عليه أصحابنا أبو العباس بن القاص في شرح حديث :

« يَا أَبَا عُمَيْرٍ ، مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ ؟ ! »

وسئل القفال عنه فقال :

إذا كفها المئونة جاز .

ومنع ابن عقيل الحنبلي من ذلك وجعله سفهاً وتعذيباً ؛ لقول أبي الدرداء :

(٣٨) توفي سنة ٨٠٨ هجرية .

(٣٩) قال في القاموس : التُّغَرُ كَصُرْدَ : البلبل وفراخ العصفير جمعها نَغْرَانُ ،

وبتصغيرها جاء الحديث : يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ ؟ !

وجاء في المواهب اللدنية أن الحديث رواه أنس قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس

خُلُقاً وكان لي أُنْحُ يقال له : أَبُو عُمَيْرٍ وكان له « تَغْر » يلعب به فمات فدخل على النبي

ﷺ ذات يوم فرآه حزينا ؛ فقال : مَا شَأْنُهُ ؟ قالوا مات تَغْرُهُ ، فقال : يَا أَبَا عُمَيْرٍ ، مَا فَعَلَ

التُّغَيْرُ ؟ [رواه البخاري ومسلم] .

والنغير تصغير نغر . طائر صغير كالعصفور .

[من الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية]

«تحيء العصافيرُ يوم القيامة تتعلق بالبعد الذى يحبسها فى القفص عن طلب أرزاقها ، تقول : يارب ، هذا عذبنى فى الدنيا» .

والجواب : أن هذا فيمن منعها المأكول ، والشراب .
قلت : قد عقد البخارىُّ لذلك باباً فى كتاب «الأدب المفرد» فقال :
«باب الطير فى القفص» .

حدثنا حازم ، حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن عروة^(٤٠) قال :
كان أبى الزبير بمكة ، وأصحاب النبى ﷺ يحملون الطير فى
الأقفاص .

وأورد أيضاً حديث «يا أبا عمير ما فعل النغير» ؟!

وفى الخادم للزركشى : فى «باب البيع» عند قول الرافعى : ومنه
ماينتفع بلونه ، كالطاووس ، أو صوته كالزرزور ،^(٤١) مانصه علم
منه جواز حبس الطيور لقصد ذلك .

وبه صرح القفال فى فتاويه وبه قال ؛ لأن فى ذلك تعهده ،
ولاتمييز له ، فهو كالخمار يُربط .

وذكره ابن القاص فى كلامه على حديث «ياأبا عمير ما فعل
النغير» ؟! ويشهد ما فى كتاب ابن السنى «أن علياً شكاً إلى النبى ﷺ
الوحشة ، فأمره أن يتخذ زوج حمام ، ويشكر الله عند
هديرها» . وكذلك قصة الشافعى مع مالك فى الرجل الذى اشترى
القمرى ووجده لايصيح كثيراً .

(٤٠) عروة بن الزبير .

(٤١) الزرزور : طائر أكبر من العصفور منه نوع لونه أسود منقط ببياض جمعه
زرزير وزرازر . [المنجد] .

نعم .. هذا ظاهر في الطيور المأكولة ، أما غير المأكولة ففيه توقف ؛ فقد ذكر العبادى فى الطبقات ، أن النهى عن قتل الهدهد والصُّرد ،^(٤٢) والخطَّاف ،^(٤٣) ؛ لكرامتها .

وإذا كان كذلك فمن كرامته ألا يُتعرَّضَ له البتَّة بحبسٍ ، ولا غيره ؛ لأنَّ الحبسَ عقوبة ؛ ولأنَّه يحرم قتله ، فيحرم حبسه قياساً على الصيد فى حق المحرم .

لمكن قوله ﷺ فى صاحبة الهرة التى رآها فى النار : « حبستها فلا هى أطعمتها ، ولاهى تركتها تأكل من خشاش الأرض — دليل على أن : من حبس الهرة وما فى معناها ، وأطعمها ، لا يعاقب على ذلك



(٤٢) الصُّرد : جاء فى معجم الحيوان هو طائر أكبر من العصفور ضخّم الرأس والمنقار شرس الطباع ، يصيد العصافير وصغار الحيوانات وهو أنواع كثيرة .

(٤٣) الخطَّاف : طائر طويل الجناحين ، قصير الرجلين ، أسود اللون . [المنجد]

المسألة الثالثة في اللعب بها

اللعب بالحمام والتطير والمسابقة :

قيل : يجوز ؛ لأنه يحتاج إليها في الحرب لنقل الأخبار .

والأصح : كراهته ؛^(٤٤) لما رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والطبراني ، والبيهقي ، عن أبي هريرة : أن النبي ﷺ رأى رجلا يتبع حمامة ، فقال : « شيطان يتبع شيطانة » .

قال البيهقي : حملة بعض أهل العلم على إدمان صاحب الحمام لإطارته ، والاشتغال به ، والارتقاء بسببه إلى الأسطحة التي يشرف منها على بيوت الجيران ، وحُرْمِهِمْ .

وقال ابن حبان : إنما قال له : شيطان ؛ لأن اللاعب بالحمام

(٤٤) جاء في كتاب المنهايات للحكيم الترمذي « وأما قوله : ونهى عن اللعب بالحمام » ؛ فإن ذلك خصلة من خصال قوم لوط ، وهي فعل يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وإذا لعب به اصطاد حراما وأضاع صلاته ، ودعاه ذلك إلى الفتنة والإشراف على الجيران . أبو داود كتاب الأدب باب ٦٥ ، وحديث ٤٩٤٠ . وابن ماجه : كتاب الأدب . باب ٤٤ حديث ٣٧٦٥ ، وأحمد : الجزء الثاني ص ٣٤٥ .

وروى في الخير أن « من لعب بالحمام افتقر » وكيف لا يفتقر وقد قسا قلبه ؟ قال السخاوي : « حديث اللعب بالحمام مجلبة للفقر » هو بمعناه عن إبراهيم النخعي رواه ابن أبي الدنيا في الملاحى ، ومن طريقه البيهقي في الشعب من جهة مُعْبَرَةٍ عنه أنه قال : « من لعب بالحمام الطيارة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر » المقاصد الحسنة حديث ٨٥٧ .

لايكاد يخلو من هو وعصيان !! والعاصي يقال له : شيطان !!

قال تعالى : ﴿ شياطين الإنس والجن ﴾ [الأنعام : ١١٢] صدق الله العظيم ، وأطلق على الحمامة شيطانة للمجاورة .

وروى ابن أبي الدنيا في ذم الملاحى ، والبيهقى عن سفيان الثورى قال : سمعنا أن الملعَبَ بالحمام من عمل قوم لوط .

وعن النخعى قال : من لعب بالحمام الطيارة ، لم يمت حتى يذوق ألم الفقر .

وعن أيوب قال : كان ملاعب آل فرفون الحمام . وعن أسامة بن زيد قال : شهدتُ عمر بن عبد العزيز يأمر بالحمام الطيارة فتذبح ، ويترك المقصصات !

وروى في تاريخه عن زهير أن المهديَّ كان يحب الحمام فروى له غياث بن إبراهيم حديثَ « لاسْبَقُ إِلَّا فِي خَفٍّ أَوْ حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ » (٤٥) فزاد فيه : « أَوْ جَنَاحٍ » .

فلما قام قال المهدي : أشهد أن قفاه قفا كذاب ، وأنا استجلبت ذلك ، وأمر بالحمام فذبحت .

وروى الخطيب عن زكريا الساجي قال : بلغنى أن أبا البحرى دخل على الرشيد وهو قاض ، وهارون إذ ذاك يطير الحمام ، فقال : هل تحفظ في هذا شيئاً ؟!

(٤٥) ابن جب رسول الله ﷺ . وأحد القادة من الشباب الذين عقد لهم الرسول ﷺ اللواء لقيادة الجيش خارج الجزيرة العربية ، ولما لقي الرسول ﷺ ربه قبل أن يتحرك الجيش نفذ أبو بكر ماعقده الرسول ، وراح يودعه وأسامة يقول نه : لتركبن أو لأنزلن فيقول : لأنزلت ، ولاركبت وماعلى أن أغبر قدمى ساعة في سبيل الله !!

فقال : حدثني هشام بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة « أن النبي ﷺ كان يطير الحمام » .

فقال هارون : اخرج عني .. !! ثم قال : لولا أنه من قريش لعزلته !! (٤٦)



(٤٦) ولاشك أن الاشتغال بتطيره ملهًا ومشغلةً ، إلى جانب ما يستتبعه من حزن حين يغلبه حمام غيره .

ومن طريف ما يروى أن أحد الولاة كان يحب اللعب بالحمام ، وكان لخادم له حمام يلعب به أيضا ، وتسابقا ذات يوم ، فسبق حمام خادمه حمامه !! وعندما بعث الأمير إلى وزيره يستعلم الحال ليعرف حمام من الذي سبق ؟ حار الوزير في أمره .. ولم يدر ماذا يقول له ؟!

أيقول له : إنك قد سُبقت ؟ ومن ؟ من خادمك ! ولم يخرج من حَيْرته إلا أحد الشعراء .. الذي أرشده إلى أن يُكْنَى عن تلك الحال بعبارة رمزية لطيفة .. فقال له : إن رأيت أن تكتب إليه تقول :

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي جَدَّهُ لِكُلِّ جَدٍّ قَاهِرٌ غَالِبُ
طَائِرِكَ السَّابِقِ لِكُنْهِ أَتَى وَفِي خِدْمَتِهِ صَاحِبُ

[الجد : الحظ]

فاستحسن الوزيرُ منه هذه الكناية اللطيفة ، [أتى وفي خدمته صاحب] وأمر له بجائزة . وكتب للأمير بذلك ، فأسعدته تلك الإجابة ، وأنسته ماحل بنقسه من هزيمة حمامه !!

المسألة الرابعة

في حمامتي الغار ، ومعاني تسبيح بعض الطير

روى ابن سعد في الطبقات ، وأبو نُعَيْم ، والبيهقي في الدلائل عن أبي مُصَنَّبِ المَكِّي قال : أدركت أنس بن مالك ، وزيد بن أرقم ، والمغيرة بن شعبة يتحدثون : أن النبي ﷺ ليلة الغار .. أمر الله بشجرة^(٤٧) فنبتت في وجه النبي ﷺ ، وأمر الله العنكبوت فنسجت في وجه النبي ﷺ فسرته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين ، فوقفنا بفم الغار ، وأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم ، وهرأواتهم ،^(٤٨) وسيوفهم ، حتى إذا كانوا من النبي ﷺ بقدر أربعين ذراعاً ، جعل رجل منهم ينظر في الغار ، فرأى حمامتين بفم الغار ،^(٤٩) فرجع إلى أصحابه فقال : رأيت حمامتين بفم الغار ، فعلمت أنه ليس فيه أحد ،^(٥٠) فسمع النبي ﷺ ما قال ، فعرف أن الله قد ذرأ بهما عنه ،

(٤٧) شجرة أم غيلان .

(٤٨) الهراوة : العصا الضخيمة .

(٤٩) وحمام الحرم من نسل ثَيْنِكَ الحمامتين ، وسبحان الله الذي صرفهم عنه بما أكرم به رسوله من عجائب ومعجزات ، حمامات تبيض ، وشجرة تمتد فروعها وأغصانها ، وعناكب تتشابك خيوطها ويتكاتف نسيجها ، كل ذلك يجذونه في مدخل الغار أعلاه وأسفله — حتى ليحلف أحدهم — وهم يتآمرون عند ذلك الغار — أن نسج ذلك لأقدم من ميلاد محمد !!

(٥٠) ومن عميت أبصارهم وبصائرهم : أمية بن خلف الذي قال : إن فيه لعنكوتاً أقدم من ميلاد محمد .

فدعاهن النبي ﷺ ، وشمّت عليهن ، وفرض جزأهن ، وانحدرن في الحرم ، فأفرخ ذلك الزوجُ كلَّ شيءٍ في الحرم !!

وإلى ذلك أشار صاحب البردة بقوله :

ظَنُّوا الحمام وظنوا العنكبوت على

خير البرية لم تُسْجَ ولم تُحْم

وروى ابن وهب : أن حمام مكة أظلت النبي ﷺ يوم فتحها فدعا لها بالبركة .

وذكر الثعلبي عن وهب بن مُنبّه في قوله تعالى : ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص / ٦٨] .
قال : اختار من النعم^(٥١) الضأن ، ومن الطير الحمام .



■ وفي الصحيح عن أنس قال : قال أبو بكر ، يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لرآنا ، فقال له رسول الله ﷺ : ما ظنك باثنين الله ثالثهما !!؟
(٥١) التَّعَمُّ : الإبل والشاء والجمع أنعام ، والضأن خلاف الماعز من الغنم .

معاني تسميح بعض الطيور

وفي تفسير الثعلبي وغيره عن سليمان بن داود عليهما السلام : أن الحمام يقول :

«سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»

والفاخنة تقول :

«ليت هذا الخلق ماخُلِقُوا !!»

والصُرْد يقول :

«استغفروا الله يامُذنبون !!»

وطيطوى^(٥٢) تقول :

«كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ ، وكل جديد بالي»

(٥٢) طيطوى : طائر صغير من طيور الماء طويل المنقار والساقين شبيه بالشتب إلا أنه أصغر ، وهو من الطيور القواطع وأنواعه كثيرة (طيطوى أحمر الساق — أدكن — أخضر الساق — عصفور سلطاني في دمياط) . (حنغلي السماع) طيطوى أخضر . نسناسة في دمياط (حلمي السماع) . طيطوى البطائح — طيطوى الغياض — طيطوى منجلي — طيطوى أصيفر الصدر . جاء في المقتطف ٣٧ : ٩٨٥ لمؤلف معجم الحيوان : طائر صغير من طيور الماء سماه أحمد فارس زمار الرمل وهو ترجمة اسمه الانكليزي . والطيطوى في الفيروز ابادي « ضرب من القطا أو غيره » . وفي محيط الخيوط ضرب من القطا وغيره . وقيل هو طائر لايفارق الآجام وكثرة المياه « وفي حياة الحيوان : باب الطيطوى مانصه : « قال أرسطاطاليس في كتاب النعوت إنه طائر لايفارق الآجام وكثرة المياه لأن هذا الطائر لا يأكل شيئا من النبات ولا من اللحوم ، وإنما قوته مما يتولد في شاطئ الغياض والآجام من دود التنن ، وهذا الطائر تطلبه البُزاة عند مرضها الخ » ويقول معجم الحيوان تعليقا على هذا : ولم أجد في كتاب النعوت شيئا من هذا لكن ورد فيه ذكر طائرين لايفارقان الآجام .

والخطافة^(٥٣) تقول :

«قَدِّمُوا الْخَيْرَ تَجِدُوهُ !!»

والبازي^(٥٤) يقول :

«سُبْحَانَ رَبِّيَ وَبِحَمْدِهِ !!»

والسرطان يقول :

«سُبْحَانَ رَبِّيَ الْمَذْكُورَ بِكُلِّ لِسَانٍ !!»

والدَّرَّاجُ^(٥٥) يقول :

«الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى !!»

وإذا صاحَت الْعُقَابُ قالت^(٥٦) :

«الْبُعْدُ مِنَ النَّاسِ رَاحَةٌ !!»

وإذا صاح الخطاف^(٥٧) :

«قَرَأَ الْفَاتِحَةَ إِلَى آخِرِهَا» وَيَمُدُّ صَوْتَهُ بِقَوْلِهِ :

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ كَمَا يَمُدُّهَا الْقَارِئُ !!

وأخرج أبو الشيخ بن حيان في كتاب العظيمة عن عمرو بن قيس
الملائي قال : مرَّ سليمان بن داود عليهما السلام على حمام يهدر على

(٥٣) طائر يشبه السُّنُونُو طويل الجناحين قصير الرجلين . والسُّنُونُو طائر من
الخطاطيف عاري الساقين والرجلين طويل الجناحين مشقوق الذنب ومن أسمائه عصفور
الجنة .

(٥٤) البازي ضرب من الصقور .

(٥٥) مثل رُمَّانٍ نطقاً طائر .

(٥٦) طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوى المخالب وله منقار أعقف جمعه
عقبان . المنجد .

(٥٧) قال القزويني في عجائب المخلوقات : الخطاف طائر مُتَنَقِّلٌ يتبع الربيع حتى إذا
أقبل الصيف أخذ فراخه ومشى بها إلى الوكر الذي تركه في البلد الآخر ، ولا يبقى منها
واحد إلا رجع إلى وكره القديم .

أنشاه ، فقال لأصحابه :
تدرون مايقول هذا الحمام لأنشاه ؟!
قالوا : لا ، يا نبي الله !!
قال : يقول لأنشاه : تابعيني على ماأريد منك ؛ فوالله لمُتَابِعْتُكَ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ !! (٥٨)



(٥٨) طبعاً كُلُّ يَعْنِي . على ليلاه "

الخاتمة

ما قيل في وصف الحمام

○ قال عبد الواحد بن فتوح الفروات في وصف الحمام :
يَجْتَابُ^(٥٩) أَرْدِيَةَ السَّحَابِ بِخَافِقِ
لَوْ سَابِقَ الرِّيحِ الْجَنُوبِ لَغَايَةَ
يَسْتَقْرِبُ الْأَرْضَ الْبَسِيطَةَ ذَاهِباً
وَيَظَلُّ مُسْتَرْقِ السَّمَاعِ يَخَافُهُ
قِسْنُهُ بِأَعْتَقِ كُلِّ حَامِلٍ رِيشَةٍ
يَنْدُو فَيُعْجَبُ مِنْ يَرَاهُ لِحُسْنِهِ^(٦٤)
مُتَوَقِّراً^(٦٥) مِنْ حَيْثُ دُرَّتْ كَأَنَّمَا
كَالْبَرْقِ أَوْ مِضٍ فِي السَّحَابِ فَأَبْرَقَا .
يَوْمَا لَجَاءَ بِمِثْلِهَا أَوْ أَسْبَقَا^(٦٠)
وَالْأَفَقُ ذَا السَّقْفِ الرَّفِيعِ مَرْتَقَى^(٦١)
فِي الْجَوِّ تَحْسِبُهُ الشَّهَابَ^(٦٢) الْخَرَقَا
مِمَّا يَطِيرُ تَجْدُهُ مِنْهُ أَعْتَقَا^(٦٣)
وَتَكَادُ آيَةُ عِتْقِهِ أَنْ تُنْطَلَقَا
لِبَسِ الزَّجَاجَةِ أَوْ تَجَلْبَبَ رَيِّقَا

-
- (٥٩) اجتأب البلاد قطعها . والحمام يقطع الآفاق مجتازاً طبقات السحب بجناحيه تلمع بين السحب كأنها البرق .
(٦٠) وهو في البيت الثاني يسابق الريح ويكاد يسبقها .
(٦١) إن الأرض الواسعة لاتبعد عليه ذهاباً فهو يستقربها متخذاً من الأفق العالى مرتقى يرقاه .
(٦٢) إن الشياطين التي كانت تسترق السمع من السموات العُلا تخافه في الجو تحسبه شهاباً حارقاً .
(٦٣) وهو بالنسبة للطيور ذات الريش أعنتها وأكرمها .
(٦٤) إن حسنه باد للعين حتى كاد أن يتكلم معبراً عن أصالته وكرمه .
(٦٥) من أى النواحي نظرت إليه تلمس بريق جماله كالبلور أو لبس جلباباً لامعاً كالماء الرقراق .

○ وقال عبد الواحد بن خلف القطاس :

ألا لا تهيجن الحمام فذُبها قديما بأكباد المحبين سادك^(٦٦)
توسدن مطويّ الجناح كأنما لهن حشايا فوقه وودائك^(٦٧)
وملن على مخضر الغصون كأنما لهن على قصب الأراك أرائك^(٦٨)
ولا شدى إلا تضوع شجوننا ولاشجوا إلا من دموعى سافك^(٦٩)

○ قال مسعود بن عبد الله التيتارى :

رأى المسترشد فى النوم ، فى الاسبوع الذى استشهد فيه ، كأن على
يده حمامة مطوقة ، فأناه آت وقال :

خلاصك فى هذا !!

فلما أصبح حكى لابن سكينّة الإمام مارآه فقال :

ما أولته ياأمير المؤمنين ؟!

قال : أولته ببيت أوى تميم :

هن الحمام فإن كسرت عيافة من حائهن فإنهن حمام^(٧٠)
وخلاصى فى حمامى فقتل بعد أيام .

(٦٦) سَدِك به لزمه ، والشاعر يطلب منا أن نتوقف عن إثارة الحمام فكم ترك ندبها
فى قلوب المحبين وأكبادهم حزناً ملازماً !!

(٦٧) تراهن متخذات من أجنحتهن وسائد وحشايا . والنودك : الدسم .

(٦٨) قصب الأراك : القضيبي جمع قضيبي وهو العود والغصن ، والأراك شجر
يتخذ منه السواك . وكأنما أصبحت تلك الأعواد والغصون الخضراء أرائك لهن .

(٦٩) الشجوا الهم والحزن . وتضوع فاح . والشدى الرائحة الطيبة .

(٧٠) العيافة زجر الطير والتشاؤم أو التفاؤل بطيرانها . والعائف المتكهن بالطير أو
غيرها .

وشتان بين فتح الحاء وكسرها ؛ فبالفتح تطلق على الطائر المعروف ، وبالكسر حمام .
الموت .

○ وقال حسين التونسي الملقب عنتره ، يصف الحمام :
وأصغر من بنات بنى الحسام أقل فعالة فوق الكلام
له حلل من الذهب المصفى وعين كالعقيق من المدام
ويعجز عن مداه الريح سبعا ويكبو خلفه برق الغمام^(٧١)

○ أورد القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني :
فى كتاب الوساطة قول الفرزدق :
هم فادوا سفيهم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام
○ وقال ابن هرمة :

عقدت من ملتقى أوداج لبتة طوق الحمامة لاتبلى على القدم^(٧٢)
○ وقال بعضهم :

وهن إذا رسمت بهن قوما كأطواق الحمامة فى الرقاب^(٧٣)
○ وقول أبى الطيب :

أقامت فى الرقاب له أياد هى الأطواق والناس الحمام
ثم قال : وهذا من التبذل الذى لا يُعَدُّ سرقة ، وزيادة أبى الطيب فيه
حسنة بديعة !

○ وقال ابن عبد الظاهر :
نسب الناس للحمامة حزناً وأراها فى الحزن ليست هنالك^(٧٤)
خضبت كفها وطوقت الجيد وغنت ، وما الحزين كذلك

(٧١) يكبو : يتعثر . يسابق الغمام والبرق ، والريح .
(٧٢) الأوداج جمع ودج ، وهما ودجان . وملتقى الأوداج والعروق الرقبة . واللبة :
موضع القلادة من الصدر .
(٧٣) كناية عن الملازمة .
(٧٤) يقال ليس هنالك . أى ليست بالحزينة ، والبيت الثانى دليله على ذلك ، فكيف

وقال ابن صاحب تكريت :

تَحَمَّلْتُ يَابِرُقَ اشْتِياقٍ إِنْى الْحِمَى فَأَنْتَ كَقَلْبى مِنْ غَرَامى يَخْفِىُ^(٧٥)
وَمَأْنَتِ يَاورِقَاءُ مِثْلَى حَزِينَةٍ وَلَوْ كُنْتُ مَا كَانَ الْجَنَاحُ يُصَفِّقُ

وقال أبو حاتم فى « كتاب الطير » :

ومما جاء فى حمام الوحش من أشعار الفصحاء :

قال شقيق بن بعلبك الأسدى :

لَقَدْ هَيَّجَتْ مِنى حَمَامَةٌ أَيْكَةً مِنَ الْوَجْدِ وَجَدًا كُنْتَ أَكْثَمُهُ جُهْدَى^(٧٦)
فَقُلْتُ تَعَالَى نَبْكَ مِنْ ذَكَرٍ مَاحِلًا وَتَذَكَّرَ مِنْهُ مَائِسِرٌ وَمَائِبِدَى
تُسْعِدِينِى تَدْرَ عِبْرَتُنَا مَعًا وَإِلَّا فَإِنِّى سَوْفَ أَسْفَحُهَا وَحْدَى

وقال الوقَّافُ ورد بن الجعد :

أَحَقًّا يَا حَمَامَةَ بَطْنِ وَاذٍ بِأَنْكَ فى بُكَائِكَ تُصَدِّقِينَا^(٧٧)
غَلَبْتُكَ فى الْبِكَاءِ بِأَنَّ لَيْلى أَوْاصِلُهُ وَأَنْتَ تَهْجَعِينَ
وَأْنِى إِنْ بَكَيْتَ بَكَيْتَ حَقًّا وَأَنْكَ فى بُكَائِكَ تَكْذِيبُنَا

تكون حزينه من خضبت كهها ، وتخلت بالزينة طوقاً لها ، وراحت تغنى .. إن ذا لعجيب !!

(٧٥) إنه يناجى البرق ويخاطبه فلقد رآه يشاركه مشاعره وعواطفه وأحاسيسه فأصبح كلاهما مشتاقا إلى الحمى مغرمًا به . وفى البيت حسن تعليل جميل ، فقد علل خفقان البرق بما يعانیه من حب وغرام .

أما الحمامة فلم يرها تشاركه أحزانه ، فإن من يصفق بخناحيه لأثر نحب لديه !!
(٧٦) إنها قصة .. قصة حمامة هيجت ماحول كتانه من الوجد ، فدعاها ليتباكيا معا على ذكريات سلفت ، ولتبادلا أحاديث الحب والهيام ماخفى منها ومندا . ثم يطلب منها أن تساعد على البكاء فيبكيا معا ، وإلا فإنه سيكى وحيداً .

(٧٧) وهنا يجد الشاعر نفسه أصدق فى بكاء الخبوب من الحمامة .. إنه يواصل الليل بالنهار فى البكاء .. أما هى فتجع !! وهو يبكى حقا وصدقا أما هى فإنها كاذبة !!

وقال حكم الخضرى :

فقل لحمامة الخرجاء سقياً لصوتك حين أعجبك المقيلاً! (٧٨)
بكت أحزانها فبكيث شجوى ولم نطق فافهم ماتقول !

وقال رجل من بنى نهشل :

ألام على فيض الدموع وإننى بفيض الدموع الجارياتٍ جدير
أيكى حمام الأيلى من فقد إلفه . وأصبر عنها ؟! إننى لصبور ؟! (٧٩)

وقال على بن غميرة الجرمى :

هتُرف الضحى معروفة اللحن لم تزل

تقود الهوى مهذى لها ويقودها

جزوع ، جمود العين ، دائمة البكا

وكيف بكأ ذى مقلة وجودها (٨٠)

مطوقة لم يضرب الحزن فضة

عليها ولم يعطل من الطوق جيدها

(٧٨) الخرج : موضع باليمامة . إنه يدعو لصوتها الذى لم يعد يسمعه « بالسقى » ليعود بعد انقطاع .. وربما أعجبها وقت القيلولة فراحت تركز للظل وتتوقف عن البكاء ! وهى التى بكت أحزانها فشاركتها وراح ييكنى أحزانه وإن كان لم يفهم ماتقول !!
(٧٩) وهذا النهشلى يعاتب نفسه ويؤنبها على صبرها عن فقد إلفها بينا ييكنى حمام الأيلى إلفه !!

(٨٠) جزوع : كثرة الجزع والحزن . وجمود العين : كناية عن شدة الحزن . فعندما يشتد الحزن تضن العين بدموعها ولذا رأينا الحنساء عندما فقدت أحبا صخرت تكيه قائلة : أعينى جودا ولاجمدا .. ومصدر العجب البكاء بغير دموع !!
ويزول العجب إذا علمنا أنها .. المطوقة التى لم تبد عليها آثار الحزن ولم تتخل عن زينتها مثلة فى طوقها !

وقال إدريس بن اليمان العبدري :
 وَرَقًا مَطْوَقَةً السَّوَالِفِ سُنْدُسًا
 لَمْ تُخَلِّكَ صَنَعَتَهَا حَيَاكَةً حَاكٌ^(٨١)
 وَكَأَنَّ أَرْجُلَهَا الْقَوَائِي أَلْبَسَتْ
 نَعْلًا مِنَ الْمَرْجَانِ دُونَ شِرَاكٍ
 تُشَدُّو عَلَى خُضْرِ الْغُصُونِ بِاللُّسْنِ
 صُبِعَتْ مَلَاتِمُهَا بِلَا مِسْوَاكٍ^(٨٢)
 وَكَأَنَّمَا كُحِّلَتْ بِنَارِ جَوَانِحِي
 فَتَرَى بِأَعْيُنِهَا هَيْبَ حَشَاكٍ^(٨٣)



(٨١) السوَالِف جمع سَالِفَة وهى صفحة العنق عند معلق القُرْط . والسُنْدُس . نسيج
 الدِينَاج أو الحرير . وحاك الثوب : نسجه فهو حائك . والشراك : سير الثعل على ظهر
 القدم . والقوائى : جمع قانية .. ويقال أحمر قان . أى شديد الحمرة .
 (٨٢) الملاثم : جمع ملثم وهو القم الذى يلثم ويقبل موضع اللثم والقبيل . والمقصود أن
 مناقيرها ذات ألوان طبيعيه ، لم تمتد إليها يد بالتجميل .
 (٨٣) الحشى : مادون الحجاب مما فى البطن من كبد وطحال وكرش . وإذا كانوا
 يقولون : لا يعرف الشَّوْقُ إلا من يُكَايِدُهُ ولا الصَّبَابَةُ إلا مَنْ يَعَانِيهَا .
 فإن تلك الحمامة وقد كحلت بنار الشوق فأدمت عيونها — تستطيع أن ترى هَيْبَ
 الشوق فى الأكباد والقلوب !

إشارة الحمام

وقال صاحبُ كشف الأسرار في إشارة الحمام :
.. فبينما أنا مستغرق في لذة كلامه ، معتبر بحكمه وأحكامه ، إذ
رأيت أمامه حمامة ، قد جعل طوق العبودية في عنقها علامة ، فقلت
لها :

حدثيني عن شوقك وذوقك ، وأظهرى لى حكمة تطويق طَوْقِكَ ؟!
فقلت : أنا المطوقة بطوق الأمانة ، المتقلدة تقليد الصيانة ، فأنا
لحمل الأمانة نُدِبْتُ ، وإذا رأيتُ أهلَ الخيانة نِدِمْتُ !!
أحملُ الرسائل ، وأبلغُ الوسائل ، وأجيب عن المسائل لكنى أخبرك
عن خبرى لتعلم صحة مخبرى !^(٨٤)

أعلمك بالقصة الصحيحة ؛ فإن الدين النصيحة ،^(٨٥) ، فما كلُّ
طائر أمين ، ولا كل حالف يصدق في اليمين !

(٨٤) حقيقة أمرى .

(٨٥) إشارة إلى الحديث الشريف «الدين النصيحة» . انظر صحيح مسلم
٨ / ٢١٠ ، والترمذى ٣ / ٢٦٢ ، والمسند ٢ / ٣٢٣ ، وابن ماجه ٢ / ١٣٧٨ ، والزهد
لأحمد ٢٨ ، والمقاصد ٢١٧ ، والدرر ٢٢٣ ، والتميز ٧٨ ، والكشف ١ / ٤١٠ ،
والحلية ٨ / ١٨٥ ، والأسرار ٣٦٦ اهـ مختصر المقاصد الحسنة ، وجاء في نظم المتناثر من
الحديث المتواتر لأئى عبد الله الكتانى : قال أبو الطيب القنوجى في تأليف له سماه العبرة
مانصه : ويجب بذل النصيحة للأئمة لما ثبت في الصحيح من حديث تميم الدارى أن الدين
النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين .

والأحاديث الواردة في مطلق النصيحة متواترة ، وأحق الناس بها الأئمة — والله
أعلم .

أما المخصوص بحفظ الأمانة من جنسى ، وما أبرئ نفسي ! فيحمل الأمانة ميتا من كان أبلق وأخضر^(٨٦) لأنه أحسن في الشكل والمنظر ، وأعدل في الخبر والخبر ؛ فإن الطائر إذا كان أسود دُلَّ على تجاوز حدِّ النَّصْح ، فتكون الطبيعة قد جاوزت حدَّها ..

فإذا كان أبيض دلَّ على قصور الطبيعة عن حدِّ النَّصْح ، فيدُلُّ على انحراف المزاج عن حدِّ الاعتدال ، ولاتكون الهمة العالية إلا في الرُّوج الزكية ، ولاشرف العزيمة إلا في النفس النفيسة المستقيمة !

فإذا اعتدل لون الطائر ، دلَّ على اعتدال تركيبه فصلح حينئذ لتقريبه وتأديبه ، فأشترى بالتخريج ، ثم أعرف الطريق بالتدريج ، ثم يحملونى كتب الأسرار ، ولطائف الأخبار ، فأطير ، وأقطع الهواء المستطير ، خائفا من خارج^(٨٧) جارج ، حاذراً من سائح سائح^(٨٨) ، جازعا من رائج زايح^(٨٩)

أكابد الظمأ في الهوى والهواجر^(٩٠) ، وأطوى على الطوى في المحاجر^(٩١) ، فلو رأيت حبة قمح مع شدة جوعى عدلت عنها ،

(٨٦) الأبلق : ما كان في لونه سواد وبياض .

(٨٧) خارج يقطع الطريق عليها ويبرز لقتالها .

(٨٨) الحاذر المتأهب المستعد . ويقال سنح الطير مرّ من المياسر إلى الميامن .

(٨٩) جزع منه لم يصير عليه فأظهر الحزن أو الكدر . وزاح عن انكان تباعد وزال وذهب وتفرق . فهى فى خوف ممن يقطع عليها الطريق وحذر ممن يفد عليها ، وجزع من الفراق والرواح .

(٩٠) الهواجر جمع هاجرة . شدة الحر وقت الظهيرة عندما يهجر الناس الشوارع إلى الحدائق والظلال .

(٩١) الطوى : الجوع . وأطوى : أتعمد الجوع . والمحاجر جمع محجر . ماحول القرى كالحدائق .. والفقرة التالية توضح ذلك .. فهى تتعمد الجوع خوفا من كمين !

وذكرت ماجرى على آدم منها ، فأرتفع خشيةً من كمين مدفون ، أو
شرك يعيقنى فأنقلب بصفقة مغبون ،^(٩٢) فإذا وصلت إلى مأمنى ،
وحللت فى موطنى ، أديت ماحملت ، وأخبرت بما عملت ، فهنالك
طوقت ، وبالبشارة خلقت ، وأشكر الله على ماوفقت .

وقال ابن الوردى فى إشارة الحمامة :
فبينما الباز^(٩٣) سكران بما بان له من البان ،^(٩٤) وإذا حمامة قد وقفت
أمامه ، وقالت :
كم تفتخر وأنت عظمٌ نخر !! أنت من آلة اللعب والصيد ، وأنا من آلة
الجد والكيد !!^(٩٥)

أنا مع الطوقِ والحضاب من حملة الكتاب !!
ومع حذى من شَرَكِ الشَّرَكِ ،^(٩٦) وخوفى من فَحِّ الإلفك خملت
الأمانة التى أبت الجبال عن حملها ، وامثلت مرسوم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ
أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء : ٥٨] .

فلما أوصلت الحقوق ، أمنت العقوق ، وقوبلت بالبشائر
والخلق^(٩٧) .

(٩٢) المغبون الخاسر . والمغبون فى البيع والشراء : المخدوع المغلوب .

(٩٣) الباز : طير من الجوارح يُصايد به وهو أنواع كثيرة .

(٩٤) والبان : شجر .

(٩٥) وشتان بين ما يُلعب به ويستخدم فى الصيد ، وبين ما يُستخدم فى الجد وعظام
الأمور ، وحسن التدبير فى الموقف الخطير .

(٩٦) ومع حذى مما ينصبه الأعداء لى من شرك ، أو يضعونه فى طريقى من فخاخ
كاذبة خادعة لم أتخل عن حمل الأمانة .

(٩٧) الخلق : ضرب من الطبيب أعظم أجزائه الزعفران .

ومما أعجب العالمين أني مخضوب البنان ولي يمين^(٩٨) أقول للملك :
 • دع الاهتمام لاتلعب بي فأنا الحمام ، فمهما حدث على البعد من
 أخصامك ، أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك^(٩٩) .

كتمت عن الناس سرى ، وأبْهَمت بين الغنا والنوح أمرى^(١٠٠)
 رأوا خضاي وطوق فاستكفوا من بكائي^(١٠١)
 ثم ادعوا أن «رَبِّي» مناسب لغنائى
 فقلت : كُفُّوا فهو رَبِّي بادٍ بغير جَفَاءٍ
 فالخضب من فيض دمعى والطوق عقد ولائى



(٩٨) اليمين : البركة والقوة ، يقال : فلان عندنا باليمين أى بالمنزلة الحسنى .
 (٩٩) اقتباس جميل من القرآن الكريم ﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجَنِّ : أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ
 تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ ﴾ [النمل : ٣٩] .
 (١٠٠) فلست تدري أهى تغنى أم تنوح ؟ المهم أنها بسرها لاتنوح !!
 (١٠١) استكف : استكبر ، واستكف من كذا — كما هنا — امتنع أنفة وحمية
 واستكباراً ، وراحوا يتساءلون كيف تختضب وتتحلى بطوق ثم تبكى ؟ إن ذا المعجب !!

ذكر حمام الرسائل

قال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه :
في سنة سبع وستين وخمسائة اتخذ السلطان نور الدين الشهيد
الحمام الهوادي ؛ وذلك لامتداد مملكته واتساعها ؛ فإنها من حد
« النوبة » إلى « همدان » .

فلذلك اتخذ في كل « قلعة » و « حصن » الحمام التي ترسل الرسائل
إلى الآفاق ، في أسرع مدة ، وأيسر عدة ، ومأحسن مآقال فيهن
القاضي الفاضل : (١٠٢)

« الحمام هو ملائكة الملوك »

وقد أظن (١٠٣) في ذلك عماد الكاتب ، وأطرب ، وأعجب ،
وأغرب !!

وفي سنة إحدى وتسعين وخمسائة ، اعتنى الخليفة الناصر لدين
الله بحمام البطاقة ، اجتناءً زائدا ، حتى صار يكتب بأنساب الطير
المحاضر : إنه من ولد الطير الفلاني !
وقيل : إنه بيع بألف دينار !!

وقد ألف القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في أمور هذه الحمام كتابا
سماه :

(١٠٢) القاضي الفاضل : واحد من أصحاب مدارس النثر في العصر العباسي كابن
المقفع ، والجاحظ ، وابن العميد ، والقاضي الفاضل ، ولكنه هذا حذو ابن العميد في
إسرافه في استخدام المحسنات واهتمامه بالصنعة .
(١٠٣) أظن : أطل نوعكس الإطناب الإيجاز .

« تَمَائِمُ الْحَمَائِمِ »

وذكر فيه فصلا فيما ينبغي أن يفعله « المبطق »^(١٠٤) وماجرت به العادة في ذلك فقال :

إن الجارى به العادة أنها لاتحمل البطاقة إلا في جناحها لأمر :
منها حفظها من المطر ، ولقوة الجناح .
والواجب أنه إذا بطق من مصر ، لا يطلق إلا من أمكنة معلومة :
فإذا سرح^(١٠٥) إلى الإسكندرية ، فلا تسرح إلا من « مُنْية عقبة »
بالجيزة .

وإلى الشرقية : فمن مسجد التين ظاهر القرافة .
وإلى دمياط : فمن بسوس^(١٠٦) .

والذى استقرت عليه قواعد الملك أن طائر البطاقة لايلهو الملك عنه ، ولا يغفل ، ولا يمهّل لحظة واحدة فيفوت مهمات لاستدرك ، إمّا من واصل ، وإما من هالب ، وإما من متجدد في الثغور .
ولا يقطع البطاقة من الحمام إلا السلطان بيده من غير واسطة أحد ، فإن كان يأكل لايمهّل حتى يفرغ ، أو نائما لايمهّل حتى يستيقظ بل ينبه .

قال : وينبغي أن يكتب « البَطَاق » البطاقة في « ورق الطير »^(١٠٧)
المعروف بذلك .

(١٠٤) المبطق الذى يضع البطاقات في جناح الخيمة .

(١٠٥) أطلق .

(١٠٦) فمن بسوس بشط بحر « منجى » .

(١٠٧) نوع خاص من الورق عرف بذلك .

قال : ورأيت الأوائل يكتبون في أولها : البسملة ، وأنا ماكتبتها إلا
ببسملة للبركة .

ويؤرخ بالساعة ، واليوم ، لبالسنة !!^(١٠٨)

ومن فصل في وصفها نتاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير :
طالما جازت الرياح ، فأصبحت باخعة^(١٠٩) وراءها تبكى عليها
السحب ! ، وصدق من سماها «أنبياء الطير» لأنها مرسله
«بالكتب» !!

وفيها يقول أبو محمد بن علوى بن «أبى عقبال القيراوي» :
خُضِرَ تفوقَ الرِّيحِ في طيرانها يابُغْدُ بين غُدُوِّها ورواحها
تأتى بأخبار الغُدُوِّ عَشِيَّةً لمسير شهرت تحت ريش جناحها^(١١٠)
وكأنما الروح الأمين بوحيه نفث الهداية منه في أرواحها
وقال غيره :

فحبذا الطائر الميمون يطرقنا في الأمر بالطائر الميمون تنبها
فاقت على الهدهد^(١١١) المذكور إذ حملت كتب الملوك وصانها أعاليا
تأتى بكل كتاب نحو صاحبه تصون نظرتة صونا وتُخفيا

(١٠٨) ويقول المؤلف في كتابه «حسن المحاضرة» : وينبغي أن لا يكثر في نعوت
المخاطب فيها ، ولا يذكر فيها حشو الألفاظ ولا بد أن يكتب وصف الطائر ورفيقه إن كانا
طائرين قد سرحا ، حتى إن تأخر الطائر الواحد روقب حضوره ، ولا يعمل للطائق
هامش ، وجرت العادة أن يكتب في آخرها «وحسبنا الله ونعم الوكيل» وذلك حفظا
لها .

(١٠٩) تكاد تقتل نفسها ألما وحسرة وندما على تخلفها عن مسابقة الحمام !!

(١١٠) الغدو أول النهار والعشية آخره .

(١١١) المذكور في القرآن حين جاء سليمان من سبأ ببأ يقين .

فما ثَمَكْنَ غَيْرَ الشَّمْسِ تُنْظِرُهُ
 مَنْسُوبَةٌ لِرِسَالَاتِ الْمُلُوكِ
 أَكْرَمَ بِحَيْشٍ سَعِيدٍ يَاسْعَادِيهِ
 حَامَتَا الْغَارِ يَوْمَ الْغَارِ حُرْمَتُهُ
 وَقُوفُهُ عِنْدَ ذَاكَ الْبَابِ شَرَّفَهُ
 وَيَوْمَ فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ مَكَّةَ عِنْدَ
 صَنَعَتِ تَظَلُّلٍ مِنْ شَمْسٍ كَثِيَّةٍ
 تَظَلَّلَتْ فَمَا كَانَتْ تَوَدُّ هَوَى
 فَعِنْدَمَا حَظِيَّتْ بِالْقَرَبِ آمَنَهَا
 فَمَا يَحِلُّ لَذَى حِيلَةٍ تَنَاوَلَهَا
 وَلَا تَطِيرُ بِأَوْرَاقِ الْفَرِيخِ وَلَا
 سَمَتْ بِمَلِكِ الْمَعَالَى غَرَذَى دَنَسٍ
 وَانْظُرْ لَهَا كَيْفَ تَأْتَى لِلْخِلَافِ مِنْ
 مِنَ الْمَقَامِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَلَمْ
 وَرَبَّمَا ضَلَّ نَحْوَ الْهِنْدِ مَلْتَقِطًا
 فَجَاءَ فِي يَوْمِهِ فِي إِثْرِ سَابِقَةٍ
 مَنَاقِبَ لِرَسُولِ اللَّهِ أَيْسَرُهَا

وَلَا تَجُوزُ أَنْ تُلْقِيَهُ مِنْ فِيهَا
 فَيَا مَنْسُوبَ تَسْمُو وَيَدْعُوهَا مُسَمِّيَهَا
 مِمَّا يَشْكُلُ فِيهَا ذِكْرَ حَاكِيهَا
 فَيَا هَا وَقَفَةً عَزَّتْ مَسَاعِيهَا
 وَلِلْسَعَادَةِ أَوْقَاتُ تَوَاتِيهَا
 لِدِ الدَّخُولِ إِلَيْهَا مِنْ بَوَادِيهَا
 الْخَضِرَاءِ مُظْهِرَةً فِيهِ تَوَالِيهَا
 لَوْ قَابَلَتْهَا بِأَشْوَاقٍ فَتَعَبَهَا
 فَشَرَّفَتْ بَعْطَايَا جَلَّ مُهْدِيهَا
 وَلَا يَنَالُ الْمَنَى بِالنَّارِ مُصْلِيهَا
 تَسِيرُ عَنْهَا بِمَا فِيهِ أَسَامِيهَا
 لِاتْرَضِيَنَّهُمْ وَلَوْ جَزَّتْ نَوَاصِيهَا
 آلَ الرَّسُولِ لَحَبُّ كَامِلٍ فِيهَا
 يَمِضُ النَّهَارُ لُغْرَمٍ فِي دَوَاعِيهَا
 حَبَابَ فُلُقْلَةٍ وَارْتَدَّتْ مَبْطِيهَا
 حِفْظًا لِحَقِّ يَدِ طَابَتْ أَيَادِيهَا
 لَنَا نَبَوْتُهُ الْغُرَاءَ يَكْفِيهَا



وصف القاضى الفاضل لها

ومن إنشاء القاضى الفاضل فى وصفها :
سرحت لاتزال أجنحتها تحمل من البطائق أجنحة ، وتجهز جيوش
المقاصد والأقلام أسلحة ، وتحمل من الأخبار ماتحملة الضمائر ،
وتطوى الأرض إذا نشرت الجناح الطائر ، وتزوى لها الأرض حتى
ترى ماسيلغه ملك هذه الأمة ، وتقرب منها السماء حتى ترى
ماليلغه وهم ولاهمة .

وتكون مراكب الأغراض والأجنحة قلوعا ، وتركب الجو بحرا
تصطفق فيه هبوب الرياح موجاً مرفوعاً ، وتعلق الحاجات على
أعجازها ، ولا تصرف الإرادات عن إنجازها .

ومن بلاغات البطائق استفادت ماهى مشهورة به من السجع ،
ومن رياض كتبها ألفت الرياض ، فهى إليها دائمة الرجوع .

وقد سكنت النجوم فهى أنجم ، وأعدت فى كنانتها فهى للحاجات
كالأسهم ، وكادت تكون ملائكة ؛ لأنها رُسُل !

وإذا نيطت بها الرِّقاع صارت أولى أجنحة متنى^(١١٢) وثلاث
ورباع ، وقد باعد الله بين أسفارها ،^(١١٣) وقربها ، وجعلها طيف
خيال اليقظة الذى صدق العين وماكذبها .

(١١٢) اقتباس من الآية الكريمة ﴿ جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة متنى وثلاث
ورباع ﴾ [فاطر : ١/]

(١١٣) اقتباس من الآية الكريمة ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴾ [سبأ : ١٩]

وقد أخذت عهود أداء الأمانة فى رقابها أطوقاً ، وأدتها من أذنانها أوراقا .

وصارت خوافى من وراء الخوافى ،^(١١٤) وعقلت سرها المودع
بكتمان وسحبت عليه ذيول ريشها الصوافى ، تُرغمُ أنف النوى^(١١٥)
بتقريب العهود ، وتكاد العيون بملاحظتها تلاحظ أنجم السعود .
وهى للطير أنبياء لكثرة ماتأتى من الأنباء ، وله خطباء لأنها تقوم
على منابر الأغصان مقام الخطباء .



(١١٤) الخوافى ريشات من الجناح إذا ضم الطائر جناحيه خفيت . وفي العبارة جناس لطيف بين كلمتى خوافى والخوافى ؛ فالأولى يراد بها « مخفية » والثانية يراد بها الريشات .
(١١٥) النوى البعد .

شيخ القاضي الفاضل يصفها

وقال في وصفها ذو البلاغتين : السيد أبو القاسم شيخ القاضي الفاضل : وأما «**الْحَمَامُ الرَّسَائِلِي**» .. فهي من آيات الله المستنطقه الألسن بالتسييح ، العاجز عن وصفها إعجاز البليغ الفصيح ، فيما تحمله من البطائق وتردُّ به سرعة من الأخبار الواضحة الحقائق ، وتعالیه في الجو محلقا عند مطاره ، وتهديّه على الطريقة التي علّمها ليأمن من إدراك فوت الإدراك وأخطاره ، ونظره إلى المقصد الذي يُسرَّحُ اليه من علّى ، ووصوله في أقرب الساعات بما يصل به البريد في أبعد الأيام من الخبر الجليّ . (١١٦)

(١١٦) جاء في «تاريخ البريد في العالم» للأستاذ جمال العراي : كلمة البريد لغة المراد منها المسافة المعلومة ، وقد حددت هذه المسافة في العصور القديمة باثني عشر فرسخاً . واختلف الأولون في لفظه ف قيل إنه عرى ، ودلّل على عربية اللفظ «**الحليل**» إمام اللغة العربية حيث قال : إنه مشتق من بردت الحديد إذا أرسلت ماخرج منه ، وأنه مأخوذ من أبردته إذا أرسلته ، أو من برد إذا ثبت لأنه يأتي بما تستقر عليه الأخبار . وأطلقوا عليه الرسول والمراسلة ، وكان اليونانيون الأقدمون يسمونه «**ملاكا**» تشبيها له برسالة جبريل عليه السلام . وعرف في الصين باسم «**الرائد**» . وذهب آخرون إلى أنه فارسي معرب ، وأصله بالفارسية : «**بريده دم**» وترجمتها : «**مقصود الذنب**» وذلك لأن ملوك الفرس كان من عاداتهم إذا خصصوا دوابّ لحمل البريد إلى مختلف البلدان قطعوا ذيوها تميزا لها ، وعلامة على أنها من دواب البريد . وبدأ الأهتمام باستخدام الحمام الزاجل في العصور القديمة والوسطى في أثناء الحروب ، فقد كان من أحسن طرق التراسل وأسرعها فضلا عما يمتاز به الحمام من قدرة على الاختفاء عن أنظار الأعداء في أمن وسلام . وكان يعرف وقتئذ بحمام البطاقة : (نسبة إلى كلمة «**بتاكيون**» اليونانية ومعناها «**رقعة**») وأول من اتخذ الحمام وسيلة فعالة في الحرب

ومجيئه معادلا كرعوس السفار^(١١٧) لعله مُسَامِتاً وإيثاره بالمتجددات
فكأنه ناطق وإن كان صامتا .

وكونه يمضي محمولا على ظهر المركوب ، ويرجع حاملا على ظهره
المكتوب .

ولا يُعَرَّج على تذكّار الهديل ، ولا تكرر الهدير ، ولا يسام من
الدواب في الخدمة زائداً على التقدير . وفي تقدمه بالبشائر ، يكون
المعنى بقولهم : «أيمن طائر» ، ولا غرو أن فارق رسل أهل الأرض
وفاقهم وهو مرسل والعنان عنائه ، والجو ميدانه ، والجنح مركبه ،
والرياح موكله ، وابتداء الغاية شوطه ، والشوق إلى أهله سوطه ، مع
أمنه ما يُحدثُ متاعب السفار^(١١٨) ونجبات القفار ، من مخاوف
الطوارق ، وطوارق المخاوف ، ومتالف الغوائل ، وغوائل المتالف ، إلا
ما يشد من اعتراض خارج جارح ، وانقضاض كاسب كاسر ، فتكفيه
سعادة الدولة تامينه ، وتصدد عنه تصميمه ، لأنه أحد جيشيه من
الطير اللذين يُحدثان في أعدائها : هذا بالإنذار الجاعل كيدهم في
تضليل ،^(١١٩) وذاك بما ترى رايتها المنصورة عليهم من تضليل .

كان «أنطونيوس» الروماني في سنة ٤٣ قبل الميلاد في حصار مدينة «مورينا» على أنه بعد
هذا التاريخ لم يستخدم الحمام إلا في سنة ١٠٩٨م عند دخول الإفرنج مدينة «أورشليم» .
وقد استخدمه العرب في حروبهم ضد «المغول» كما استخدمه الأتراك في عهد السلطان
«سليمان» كما استخدمه صلاح الدين في حصار عكا .

(١١٧) السفار حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير بمنزلة الحكمة للنفرس . ويقال
سمت سمتا أي لرم الطريق .

(١١٨) السفار . يقال سافر سفاراً ومسافرة مضى .

(١١٩) اقتباس من الآية الكريمة في سورة الفيل ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾

القاضى مُحى الدين بن عبد الظاهر^(١٢٠) يصفها

وقال القاضى محى الدين بن عبد الظاهر :
وأما الحمام الرسائلى : فكم أغنت المرء عن جوب القفار ، وكم قدت
جنوبها على أسرى أسرار !!

وكم أعارت السهام إجنحة فأحسنت بتلك العارية المطار!^(١٢١)
وكم قال جناحها لطالب النجاح لاجناح^(١٢٢) !! وكم سرت
فحمدت المسار إذا حمد غيرها من السارين^(١٢٣) الصباح !!
وكم ساء وقت الصباح والجنايب^(١٢٤) ، ففارقتها ولم تحوج سلامة
المشتاقين إلى مُتكا كاهل الرياح .

-
- (١٢٠) هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر المصرى (٦٢٠ - ٦٩٢ هـ)
كان من المتعصبين لطريقة القاضى الفاضل فى التزام السجع واتباع المحسنات البديعية ،
وبخاصة التورية ، وكان رئيس «ديوان الإنشاء» فى زمن الظاهر بيبرس .
(١٢١) يقال : سهم مريش ومُرَيْش ، وريشت السهم ثلاث ريشات : أساس .
البلاغة . وهى تساعد على الانطلاق إلى الهدف فى سرعة .
(١٢٢) لاجناح : فيها تورية جميلة مقصود بها لاجرج .
(١٢٣) فى المثل : عند الصباح يحمد القوم السرى . والسرى : المشى ليلا .
(١٢٤) يقال فرس جنيب ، وخيل جنائب . وجنب البعير قاده . والمراد أنها حتى فى
الأوقات غير المناسبة سواء من ناحية الجو .. أم من ناحية وسائل الارتحال ؛ فبها تتحرك
فى مثل ذلك الوقت .

كم مسبب ملك كلاً منها ملك ، وكم قال مسرحها لمحبيته بها قرّة
عين لي ولك . (١٢٥)

كم أجملت في الهواء ثقلاً ، وإذا تغنت الحمام على الغصون صميت
عن الهديل والهدير (١٢٦) تأديبا .

كم دفعت شكاً بيقينتها ، ورفعت شكوى بتيئنها ، وكم أدت أمانة ولم
تعلم إجنحتها مافي شمالها ، ولاشمالها مافي يمينها (١٢٧) .

وكم التفت منها الساق بالساق ، فأحسنّت لربها المساق (١٢٨) ، وكم
أخذت عهود الأمانة فبدت أطواقا في الأعناق ، ويقال : « ماتضمنته
من البطائق بعض ماتعلق بها في الرياض من الأوراق » .
تسبق اللّمح (١٢٩) ، وكم استفتح بها البشير إذا جاء بالفتح الطرف
السابق ، والطرف الرامس الرامق (١٣٠) .

(١٢٥) اقتباس جميل من الآية الكريمة ﴿وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك﴾
[القصص : ٩/] .

(١٢٦) الهديل : صوت الحمام ويقال هدل : إذا صوّت . أما هدير فيقال : هدر
الحمام إذا قرقر وكرر صوته في حنجرتة .

(١٢٧) اقتباس من الحديث الشريف .. «ورجل تصدق أخفى .. لا تعلم شماله
ماتنق يمينه» وذلك كناية عن الحرص على أداء الأمانة في صمت وكنان ! .

(١٢٨) اقتباس جميل من الآية الكريمة ﴿والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ
المساق﴾ [القيامة : ٢٩ : ٣٠]

(١٢٩) اللّمح . البصر الممتد إلى الشيء .

(١٣٠) رmqه رمقا : أطلّ النظر إليه ، والمراد أنه عندما يتم الإخبار بالنصر ممن
يرصدون ذلك من «العيون» فإن الحمام تطلق من أبراجها حاملة البشريات طارقة
الأبواب ، وبين البروج والطارق تورية جميلة توحى بقرب ماين إطلاقها من بروجها
وإبلاغها أنباء النصر .

وماتليت «سورة البروج» إلا وتلت «سورة الطارق» كم أنسى
مظارها عدو السلكة والسليك^(١٣١) ، وكم غنيت في خدمة سلطانها عن
الغنا^(١٣٢) ، وقال كل منهم لرفيقه إليك عن الأيك ، وقال كل منهما
لرفيقه : مأحوج تصديقهما في رسالتهما إلى الإعزاز بثالث^(١٣٣) ، وكم
قيل في كل منهما لمن قام : هذا طائر في خدمة أبناء يافث^(١٣٤) !!

كم سرح مسرحا بإحسان ، وكم طار في أفق فاستحق أن يقال
لهما : «فارسا سحاب» إذا قيل لغيرهما : «فارسا رهان» ، حاملة
علم من هواء علم به منها .

تغنى السفار والسفارة فلا تحوجهم إلى الاستغناء عنها ، تغدو وتروح ،
وبالسر لاتبوح ، فكم غنيت بأجتماعها بالفها عن أنها تنوح .

كم سارت بأمر سلطانها أحسن السير ، وكم أفهمت أن ملك
سليمان إذا سخر له منها في مهماته الطير ، أسرع من السهام المفقوة ،
وكم من البطائق مخلقة وغير مخلقة .

كم ظللت من كيد ، وكم بدت في مقصورة تصبح في السناء والسنا
دونها «مقصورة ابن دريد» .

يسرح كما يسرح القبول الإادون رسالته المقبولة ، وطلب السبق فلم

(١٣١) السلكة والسليك : يقول القاموس المحيط : سُلَيْك على وزن زبير ابن يثرى بن
سنان بن سُلَكة كهزمة . وهى أمه شاعر لص فتاك عداء .

(١٣٢) الغنا .. مراد بها الغناء ، فهى لم تعد بحاجة إلى الغناء .. والوقوف على شجر
الأيك ، فقد أغناها عن ذلك ماهى فيه من خدمة السلطان .

(١٣٣) اقتباس كريم من الآية الشريفة : ﴿فَكذَّبُوهُمَا فَعُزِّزْنَا بِثَالِثٍ﴾
[يس : ١٤] .

(١٣٤) أبناء يافث : يافث بن نوح أبو الترك وأججوج ومأججوج . القاموس المحيط .

يرض بعرف البرق مبرحا ، ولا استطلاع صفحته المصقولة .
وهم جواد النسيم فقصر ، وأمسيت أذياله بغرق السحب مبلولة .
وأرسله ، فأقر الناس برسالته وكتابه المصدق وانقطع كوكب
الصبح خلفه ، فقال عند التقصير كنت نحأباً وعلى يدى مخلوق .
يؤدى ماجاء على يديه من الترسل ، فيهج الأشواق ، وما برحت
الحمام تحسن الأداء فى الأوراق .

وصحبناه على الهوى فقال : ماضل صاحبكم وماغوى ، ومن
روى عنه حديث الفعل المسند فعن عكرمة^(١٣٥) قد روى .

يطير مع الهوى لفرط صلاحه ، ولم يبق على السر المصون جناح إلا
دخل تحت جناحه .

إذا برز من مقفصه لم يبق للصرح المرد^(١٣٦) قيمة بل ينزل بتدبيح
أطواقه ، وتعلق عليه من العين التيمة .

ماسجن إلا حمد على السجن ، وضيقته الأطواق ؛ ولهذا حمدت
عاقبته على الإطلاق^(١٣٧) .

ولاغنى على عودٍ إلا سالت دموع الهندي من حدائق الرياض ،
ولا أطلق من كبد الجو إلا كان سهما مريشاً بلغ به الأغراض^(١٣٨) .

(١٣٥) عكرمة من أسماء الحمامة ، ولذلك حسنت اتورية بعد قوله : « روى عنه
حديث الفعل المسند » .

(١٣٦) فهو زينة الصروح والمنازل .

(١٣٧) تورية جميلة أى حمدت فى جميع الأحوال سواء سجن أم أطلق . ويتبادر إلى
الذهن على إطلاقه من سجنه .

(١٣٨) هو عند إطلاقه كالسهم المريش فى سرعة الوصول إلى الغرض .

كم علا ؛ فصار بريش القوادم كالأهداب لعين الشمس ، وأمسى عند
الهبوط لعيون الهلاك النعلية كالطمس .

فهو الطائر الميمون ، والغاية السبابة ، والأمين الذى إذا أودع
أسرار الملوك حمينا بطاقة .

فهو من الطيور التى خلا لها الجو فنقرت ماشاءت من حبات
النجوم ، والعجماء التى من أخذ عنها شرح المعلقات فقد أعرب عن
دقائق الفهوم .

والمقدمة والنتيجة للكتاب الحجل فى منطق الطير ، وهى من حملة
الكتاب الذى إذا وصل القارىء منه إلى الفتح يتهلل لحبه الخير .

إن تصدّر البازى بغير علم فكم جمعت بين طرفى كتاب وإن سأل
العقيان عن بديع السجع أحجمت عن رد الجواب . نعم رعت النسور
بقوة جيف ، ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف .

ماقدمت إلا وأرتنا شمائلها اللطيفة نعم القادمة ، وأظهرت لنا من
خوافيها ماكانت له خير خاتمة .

كما أهدت من مخلفتها وهى غادية رائحة ، وكم حنّت إليها الجوارح
وهى — أدام الله إطلاقها — خير جارحة .

وكم أدارت من كنوس السجع ماهو أرق من قهوة الإنشاء ، وأتيح
على زهر المنثور من صبح الأعشاء .

وكم عامت بحور الفضا ولم تحفل بموج الجبال ، وكم جاءت
ببشارة ، وخضبت الكف ، ورمت من تلك الأنملة قلامة الهلال .

وكم زاحمت النجم بالمناكب حتى ظفرت بكف الخضيب وانحدرت
كأنها دمة سقطت على خد الشفيق لأمرٍ مريب .
وكم لمع في أصيل الشمس خضابُ كفها الوضاح ، فصارت
بسموها وفرط المهجة كمشكاة فيها المصباح .
والله يديم بأفنان أبوابه العالية ألحان السواجع ، ولا يرح تغريدها
مطربا من المبادئ والمراجع .



أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ يُخَاطِبُهَا

وقال أبو العلاء المعري يخاطب الحمامة :
يا حاملَةَ طَوْقٍ من الليل ، و بُرْدٍ من الربيع مكفوف الذيل أوفت
على الأشياء^(١٣٩) ..

فقلت للكثير : ماشاء ، مسمعه غير مفهوم ، لا بالرمل^(١٤٠) ولا
بالمذموم .. إن كان سجعها قريض^(١٤١) ، فقد ماد بشخصها العود ،
وفقيدها لايعود ، تندب شوقا هديلاً فات ، وأتيح له بعض الآفات ،
وليس الأشواق لذوات الأطواق ، ولا عند المساجعة عبْرَة مراجعة ..
إنما رأت الشرطين قبل البطين ، والرشا قبل العشا ، فحكّت صوت
الماء في الخريز ، وأذنت برأى دائمة التكرير ؛ فقال جاهل : فقدت
حميما ، وثكلت ولداً قديما .

وهيهات ياباكية .. أصبحت فصَدَحَتْ ، وأمسيت فتناسيت^(١٤٢) .

(١٣٩) أوفت على الأشياء : أشرفت عليها .

(١٤٠) الرَّمْلُ بحر من بحور الشعر .

(١٤١) السجع صوت الحمايم ، ويقال سجع الخطيب أى أتى بكلام مقفى له
فواصل ، وسجعت الحمامة هدرت ورددت صوتها . وسجعها يشبه القريض وهو
الشعر ، ولهذا يميل الغصن طربا من تحتها لسماع صوتها .

(١٤٢) تصدح في الصباح حتى إذا جاء المساء تناست ماكانت فيه .

لاهام .. لاهام^(١٤٣) .
مارأيت أعجب من هاتف الحمام .. سلم فتاح وصمت وهو مكسور
الجناح^(١٤٤) .



(١٤٣) لاهام لاهام .. أهى دعاء منها ألا يهيم صاحبها على وجهه ويعود إليها إليها !!
وألا يخب غيرها !!؟ [فيقال هام بكذا أحبه ، وهام على وجهه ذهب لايدري أين
يتوجه !]
أم هي هاتف للسلام .. فالهام جمع هامة وهي الرأس فهي لاترغب في رؤية القتل ..
وتدعو ألا ترى رعوساً ؟!
(١٤٤) مصدر العجب أنه ينوح عند سلامته ويكيى . بينما يصمت وهو مكسور
الجناح !! أرايت أعجب من هذا ؟!

والشريف الموسوى يقول فيه شعرا !!

وقال الشريف الموسوى فى الحمام المرسل^(١٤٥) .

وَمُبْلَغُ الْأَخْبَارِ فِي أَوْقَاتِهَا لِلنَّازِحِينَ وَأَذَانًا بِالْكِتَابِ
يَسْنِي^(١٤٦) الْغَزَالَ وَالْغَزَالَ بَعِظُهُ لِمَعَانُ بَرَقِ، وَانْقِضَاضِ شَهَابِ
تَطْوِي الْمَسَافَاتِ الْبَعِيدَةَ مِثْلَمَا تُخْصِي الْأُلُوفَ أَنْامِلُ الْحُسَابِ^(١٤٧)
وقال فى الأحمر المرسول :

وَأَحْمَرٌ فِي بَرَجِ الْحَمَامِ كَأَنَّهُ مِنَ الْأَطْلَسِ الرُّوحِيِّ مُسْرَبِلٌ سِرَالًا^(١٤٨)
رَأَى الشَّقَقُ الشَّرْقَ خِفَّةَ نَعْتِهِ فَالْبَسَهُ مِنْهُ قَمِيصًا وَسُرُوَالًا^(١٤٩)
وقال فى الأصفر :

وَأَصْفَرٌ فِي الْحَمَامِ تَخْسِبُهُ كَأْسُ عُقَارٍ صُفْرًا تَلْهَبُ^(١٥٠)
مِنْ عَجَبٍ يَشْبُو الرِّيحَ إِذَا مَاطَارُهَا فِيهَا وَرِيْشُهُ ذَهَبُ^(١٥١)

(١٤٥) إنه يبلغ الأخبار لمن نزحوا عن الديار ، ويعلمهم ويحمل إليهم الكتب والرسائل .

(١٤٦) سباه يسييه أسره بحبه واستولى على عقله . والعطف الجانب والغزاة أنثى الغزال وقد عرفت بالجمال ، والغزاة الشمس عند ارتفاعها .. وسر جماله الأسر مافيه من لمعان ريش ، وخفة حركة .

(١٤٧) المراد السرعة ، وقد كانوا — قبل ظهور الآلات الحاسبة يعدون على أصابعهم وأطراف أناملهم ، ويحسون الألوف جمعا فى لحظات معدودات .

(١٤٨) الأطلس ثوب من حرير . ومُسْرَبِلٌ : مُعْطًى ومَكْسُو .

(١٤٩) فى البيت الثانى حسن تعليل لما يبدو فيه من الحمرة ، فقد عطف عليه الشفق

بلونه الأحمر فكساه قميصا جسده وسروالا يغطى رجليه ، لما رأى خفة نعله !!

(١٥٠) العقار الحمرة . والصُّفْرُ : الذهب . تَلْهَبُ : تلهب وتوهج .

(١٥١) يشبو الرياح : يعلوها .

وقال في الأبيض :

يحكى وقد فتن الحمام أبيض خلع الصباح عليه خير شعار^(١٥٢)
نجماً^(١٥٣) تشبه بالحمام فطار في دهم وفي غير .. كشطة نار

وقال في الأبلق^(١٥٤) :

وأبلى في الطير لا ينكره ذوو الحجى^(١٥٥)
قَمِيصَه مَقْسَمٌ بين الصباح والدجى^(١٥٦)

وقال أبو عبد الله بن قاضي ميله :

ورقاء تارق مُقَتَّى لَبَكانِها لَيْلاً إذا ماهَومت سَمَّارُه^(١٥٧)
إيه^(١٥٨) بعشك يا حمامةُ عَجْرَى كيف الكتيب وذاك عَرَّارُه

وله :

ورقاء صافيةً الجناح تسترَّت عا بخصنى : بانه وأراك^(١٥٩)

(١٥٢) لقد خلع الصباح عليه من نوره الأبيض فكساه خير شعار ، والشعار ماتحت الدثار من اللباس وهو مايل الجسد ، والدثار مافوقه .

(١٥٣) وهو من شدة بياضه ولعانه يحكى نجماً في تحركاته وسط الظلام بضى كشطة نار . والدُّهم : ثلاث ليالٍ في آخر الشهر القمري . والدِّهماء : ليلة التاسع والعشرين من الشهر القمري .

(١٥٤) الأبلق : مافى لونه سواد وبياض .

(١٥٥) ذوو الحجى : أصحاب العقول والفهم .

(١٥٦) الدجى الظلام فلونه (قميصه) مزيج من الأسود والأبيض .

(١٥٧) هُوم السَّمَار : هزوا رعوسهم من النعاس . وعندما ينام سَمَّار الليل نرى .

شاعرنا آرقه بكاء الورقاء (الحمامة) فلا ترى مقلته (عينه) النوم .

(١٥٨) إيه : اسم فعل للاستزادة .. والمراد يزيدنى أيتها الورقاء وذكرينى بما مضى ،

وحديثى عن الكتيب وما حوله من نبات القرار والعرار : بهار ناعم أصفر طيب الرائحة ..

والنرجس البرى . والواجدة عرارة .

(١٥٩) هذه الورقاء وقفت تغنى من وراء غصنى بانه وأراك فحركت الأحزان

غَنَّتْ فَأَذْكَرْتَ المشوق بيثها وتمايلتْ ففعل السقيم الشاكي
وعجبتُ من ضيدين في أوصافها خلُق الخليع ولبسة النَّسَّك

وقال خلف بن المازني يصف حمامة :

مطوقةٌ كساهها الله طوقا لم يكن ذهباً^(١٦٠)
جمودُ العين مباحاها يزيد أخا الهوى نصبا
مفجعة بكت شجواً فبت لشجوها وصبا
ترق عليه إمّا مال من شوق أو انتصبا
ومافغرت فما وبكت بلا دمع لها انسكبا



وأثارت الأشجان ، وذكرت المشوق بأحبابه . (بانه واراك) البان شجر معتدل القوام لين ورفه كالصمصاف واحده : (البانة) يشبه به القيد ؛ لظوله . والأراك شجر واحده (أراكة) يتخذ منه السواك . « إنها ورقاء .. منقطة بالبياض والسواد ، لها جناح صاف قد اعتلت غصن بانه أو غصن أراكة ، وأخذت تشدو فهاجت أشواقنا لفراق أحبابنا بما بثت من لواعج الأسى والشوق ، وتمايلت في غصنها ، كأنها سقيم يشكو مرضه لغواده ، وعجبت من أنها حين تغنى تمثل الخليع المتهالك في الحب ، وحين تستر عنا وتليس مُسَوِّح الليل تبدو كالناسك يتبتل في محرابه » [وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي للربيعي بيومي ورفاقه] .

(١٦٠) هذه المطوقة طوقها من صنع الله فلا يدانيه أى طوق من صنع البشر وإن كان من ذهب .

إنها جمود العين شديدة الحزن تبكى بغير دموع .. تحرك أحزان المحبين ببكائها وتزيدهم تعباً ونصباً .

إنها مفجعة تتوجع مما ألم بها من فقد إلفها .. بكت شجواً : شوطاً من البكاء فبات الشاعر لشجوها متعباً مريضاً متوجعاً نال الجسم يشعر بتعب وفقر في البدن .

آخر طوق الحمامة للحافظ جلال الدين السيوطي
رحمه الله آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم إلى يوم الدين

نقلت هذه النسخة بقلم الفقير إلى ربه ذى العطفية
« محمد أبى العينين عطية » على نفقة صاحب السعادة
« أحمد تيمور باشا »

أكثر الله من أمثاله ونفع به وبمكتبته عباده
« آمين »